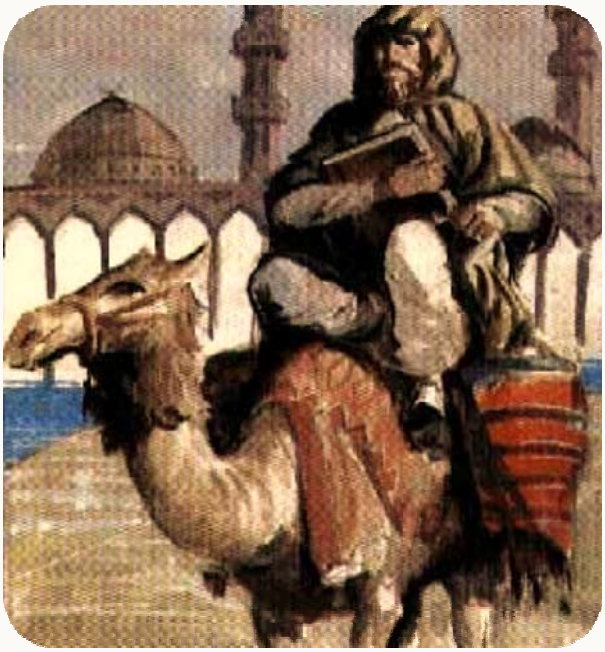

الرحلة العلمية

ودورها في إثراء المجال العلمي

المفهوم، الدوافع، الأنواع

زكري لامعة

أستاذة مؤقتة تاريخ المغرب الإسلامي
قسم التاريخ وعلم الآثار
جامعة تلمسان – الجمهورية الجزائرية

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

زكري لامعة، الرحلة العلمية ودورها في إثراء المجال العلمي: المفهوم، والدوافع، والأنواع.- دورية كان التاريخية.- العدد الثاني والعشرون؛ ديسمبر ٢٠١٣. ص ١٥٧ – ١٦١.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخّص

من سمات التطور الحضاري والتفوّق العلمي وجود الرحلات والأسفار للعلماء بين مراكز العلم في العالم الإسلامي، وذلك للتزود بالعلوم واكتساب المعرفة، فقد تولّد عن ذلك نشاط علمي كبير في الدولة الإسلامية، وتكمن أهمية الرحلة العلمية في أنها لها دور كبير في تمتين العلاقات الثقافية بين الدول ومدى مساهمتها أيضًا في تنشيط الحركة الثقافية والفكرية، وفي تشكيل معالم الوحدة الثقافية الإسلامية بين الدول العربية والإسلامية، من خلال مختلف الكتب والمصنفات التي كانوا يتداولونها علماء الدول والطلبة فكانت الحركة الفكرية متواصلة بين البلدان من مختلف العلوم ولإجازة والتعمق أكثر خاصةً في مجال الفقه وأصوله والعلوم الأخرى. ومهما كانت دوافع الرحلة العلمية وأهدافها فإن المقصد العلمي كان أهمها وأشملها حيث كان طلاب العلم يشدّون رحالهم إلى مختلف الحواضر المغربية والأندلسية والمشرقية متحملين مشقة السفر حتى أصبحوا شيوخًا وأساتذة وعلماء ساهموا بقسط كبير في إثراء النهضة الفكرية والتعليمية، لقد توطدت العلاقات الثقافية والفكرية بشكل أكبر بين الدول عن طريق الرحلات العلمية، فقد كانت الرحلة في طلب العلم ورحلة الحج من الفرص الثمينة التي توفرت لطلاب العلم، حيث مكنتهم من لقاء المشايخ والعلماء كما أتاحت لهم فرصة الاطلاع على العلوم والمناهج. كما ساهمت أيضًا في تشكيل معالم الوحدة الإسلامية بين البلدان الإسلامية خاصةً في الجانب الثقافي.

مُقَدِّمَة

تعد الرحلة العلمية درزًا مرصعة في تاج التراث الإسلامي، وذلك لما تشتمل عليه من فوائد في مختلف العلوم والأفهام وشتى العلوم العقلية والنقلية، فمن خلال كتب الرحالة تسمع ما يشرب العقول والأذهان في عجائب التفسير وغير ذلك من مسائل الدين والعقيدة والفقه والأصول ودرر البلاغة والنقد والنحو، ورائق التصوف والزهد وبديع الشعر والنثر وسلسلة التراجم والأنساب والتاريخ.

(١) مفهوم الرحلة العلمية

الرحلة في اللغة هي الارتحال والترحيل ويقال رحل الرجل أي سار،[١] فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض، وجاءت الرحلة بمعنى الارتحال أي الانتقال من مكان لآخر، أي السير وتحديد الوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه. وذلك لتحقيق هدف معين ماديًا أو معنويًا. أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السفر وجمعه أسفار ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا...﴾.[٢] لقد دعا الإسلام إلى الرحلة فقد تكررت دعوة الله لعباده بالمشي في مناكب الأرض ليرو عجب صنعه وباهر قدرته، من الآيات البينات وما أودعه فيها من معادن ونبات وحيوان،[٣] كما ورد ذكر الرحلة في القرآن الكريم ﴿إِلاَ فِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ...﴾،[٤] فقد كان أهل مكة يألفون الرحلة والأسفار بغرض التجارة، فقد زادت بعد انتشار الإسلام بأغراض شتى.[٥] كما

ارتبطت الرحلة عند المسلمين منذ البداية بعلم الجغرافيا وذلك أن الرحالة عنوا عناية خاصة بوصف المدن والبلدان وذكر طرقها وشعابها وجوها ومناخها ونباتاتها وذلك لحاجتهم إلى معرفة الطرق لتحقيق أغراضهم ومقاصدهم.

(٢) دوافع الرحلة العلمية

لقد تعددت دوافع الرحلة العلمية وشملت عدة ميادين مختلفة، وذلك حسب أهداف الرحالة ولعل أهمها ما يلي:

- لقد كان السلاطين والملوك يخصون الوافدين إليهم من الرحالة بالعناية الخاصة، حيث ابتنوا لهم كامل المرافق لإقامة، كما أحسنوا استقبالهم وإكرامهم خاصةً أهل البادية الذين اشتهروا بإيثارهم للفقراء والغرباء والحجيج.[٦]
- الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي كان له الأثر الواضح في ظهور الرحلات العلمية نحو ميادين النشاط الحضاري.
- العناية بالعلوم وتشجيع العلماء على البحث والتأليف، فلقد سعى الحكام إلى تقريب أولى العلم والمعرفة وإكرامهم، وتهيئة المناخ الملائم لهم للبحث في حقول المعرفة المختلفة، وبالتالي تيسير السبل أمام الإنتاج الفكري حسب تخصص كل منهم.
- العناية بالكتب والاهتمام بجمعها وحيازتها.
- توفر الظروف المناسبة خاصةً لطلب العلم والحجيج الذين كانوا يقصدون المراكز الثقافية كالقاهرة والإسكندرية، أو الحجاز أين توجد البقاع المقدسة، من حيث الازدهار الثقافي الذي شهدته المراكز العلمية وشيوع ذكر علمائها مما حفز الرحالة أكثر على التوجه إليها للأخذ عن العلماء والتعرف على مناهجهم وعلومهم.[٧]
- حرص السلاطين والمماليك على جلب الناس للسياحة والتجارة والعلم إلى بلادهم، فمثلاً السلطان المنصور قلاوون قد أصدر منشورًا رسميًا أعلن فيه عن الدعاية السياحية لبلده ومما جاء فيه: «ومَنْ يؤثر الورود إلى بلادنا الفسيحة أرجاؤها، الضليلة أفياؤها وأفنائها، فليعزم عزم من قدر الله له في ذلك الخير والخيرة، ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ميزة ولا ذخيرة، لأنها في الدنيا جنة عدن لمَنْ فطن، ومسلاة ويكفيها أن من بعض أوصافها أنها شامة الله في أرضه».[٨]
- إلقاء الضوء على الوضع الجغرافي والنشاط الثقافي والتجاري للأوضاع البلدان، إضافة إلى الرسوم الدينية والنواحي الاجتماعية، كما تمنح الدارسين في النواحي المختلفة ما يسعون وراءه من معلومات فكثر الأخذ منها وعظمت العناية بها.
- الكشف عن نصوص مجهولة لكتاب ورحالة عرب ومسلمين جابوا العالم ودوّنوا يومياتهم وانطباعاتهم، ونقلوا صورًا لما شاهدوه وخبروه في أقاليمه، إضافة إلى تتبع ملامح الحركة العلمية والصناعية وتطور العمران ومظاهر العصرنة ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع.
- الرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط، وإنما أيضًا من باب طلب العلم واستلهام التجارب، وكذلك الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر والذي تشكل عن طريق الرحلة، وانتباهات الرحالة التي ميزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار.
- تعرض بعض كبار العلماء في المغرب والأندلس،[٩] خاصةً إلى المضايقات مما دفعتهم إلى الارتجال والبحث عن بلدان تنعم بالاستقرار السياسي،[١٠] إضافة إلى تدهور الأوضاع السياسية لبلاد المغرب والأندلس على العموم مما دفع بعض العلماء إلى الهجرة والبحث عن أماكن للاستقرار لكن على اختلاف دوافعهم، إلا أنه واجه المرتحلون عدة مشاق وصعوبات، سواء كانت الرحلة برًا أو بحرًا، من ذلك تعرض قطاع الطرق لركب الحجيج وغيرهم بالإذاية والنهب،[١١] كما كان المسافرون يلقون مشقة وبعد المسافة والأحوال الجوية المضطربة بين الحر والبرد والأمطار والإصابة ببعض الأمراض كالحمى، وما يصاحبها من الضعف عن المسير.[١٢] أما عن مشاق الطريق البحري، فقد وصف الرّحالة والجغرافيون، كثيرًا من أهوال البحر وما يصاحبها من غرق السفن في بعض الأحيان، ومنها ما حدث سنة (٧٧٩هـ/١٣٨٠م) عندما غرقت سفينة كانت تحمل حجاجًا مغاربة قرب ميناء الإسكندرية،[١٣] وكذلك غرق السفينة التي كانت تحمل أهل عبد الرحمن بن خلدون في الميناء ذاته.[١٤]

(٣) أنواع الرحلة العلمية وأهدافها

١/٣- الرحلة إلى الحج:

يُعدّ الحج من أركان الإسلام، وكان المسلمون يحرصون كل الحرص على أداء مناسكه وذلك رغم مشاقه ومصاعبه وبعد المسافة للوصول إلى البقاع المقدسة بالحجاز مقصد المسلمين في العالم، وذلك ما أكّد عليه ابن عباد الرندي[١٥] في إحدى رسائله حيث يقول: "المشي إلى الحج في هذه الأزمنة[١٦] مما يعظم حرص الناس عليه وتميل نفوسهم إليه، ويؤثرون المشقة والقلة والغربة اللازمة له على الراحة والجدّة والإقامة"، وقوله تعالى ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.[١٧] وكان الحجاج من عدة فئات من المجتمع ممن لهم القدرة على إقامة ركن الحج، وخاصةً من الطلبة والعلماء والذين كان هدفهم من رحلة الحج أبعد من الحج نفسه، حيث توفر لهم بعد قضاء المناسك والسياحة في الحجاز[١٨] لقاء العلماء والاختلاط بهم وتبادل المعارف معهم والأخذ عنهم والاستفادة من علومهم.[١٩]

كما كانت قافلة الحج عند مرورها بمصر ذهابًا وإيابًا توفر للطلاب والعلماء فرصة الالتقاء بالمشايخ والفقهاء وأعيان المصريين ممَن ذاع صيتهم في المشرق، ويتم بينهم التبادل الثقافي والعلمي، وعند عودة العلماء من الحج والطلبة كانت تنشر أخبار علماء مكة، مما كان يرغب الطلبة أكثر في الارتحال إليها.[٢٠] ومن هنا نجد أن رحلة الحج كانت طريقًا لتسهيل عملية الاتصال والأخذ والعطاء

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

العلمي والثقافي، إضافة إلى معرفة أهم الأحداث والمستجدات العلمية الحاصلة في بقاع العالم،[٢١] كما أنها تساعد على معرفة العلماء شخصيًا بعدما كانوا يتعارفون عن طريق المراسلات والمؤلفات، إضافة إلى التحصيل العلمي بمعرفة أفكار وآراء علماء مكة، ومن هنا تكمن أهمية رحلة الحج في المجال الثقافي.

٢/٣- الرحلة في طلب العلم:

لقد كان لموقف الإسلام من العلم والحث على طلبه أثر في اهتمام المسلمين بالرحلات العلمية، فقد حث الإسلام على العلم والسعي في طلبه وتحصيله حتى روى عن الرسول (ﷺ) أنه قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ»،[٢٢] وقال أيضًا: «لأَنْ تَغْدُو فَتَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ العِلْمِ خَيْرٌ مِنَ أَنْ تُصَلِّي مَائَةَ رَكْعَةً»،[٢٣] وقال أيضًا: «أُطْلُبُوا العِلْمَ وَلَوْ فِي الصِّيْنْ».[٢٤] وانطلاقًا من هذا يتبين حرص العلماء والطلبة على اكتساب المعارف والتزود بالعلم، وتحمل ضروب المشقات وألوان التعب في سبيل ذلك، ولم يدخر المسلمون في تاريخهم الطويل أية وسيلة من الوسائل التي تعينهم على بلوغ ذلك الهدف السامي، ومن هذه الوسائل كانت الرحلات العلمية والتي اعتبرها علماء المسلمين ضرورة يجب أن يسلكها طالب العلم في حياته العلمية، وهكذا يتبين أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم.[٢٥]

فلقد اعتبر ابن خلدون الرحلة في طلب العلم من الأمور التي على طالب العلم الاعتناء بها من أجل إتمام معارفه والتحكم أكثر في العلوم، كما أن الإكثار من الشيوخ يعد أفضل للطالب وذلك من أجل تميز اصطلاحات العلوم وتصحيح المعارف زيادة على أخذ العلم من منابعه،[٢٦] كما أشاد أستاذ ابن خلدون محمد بن إبراهيم الأصلي بفضلها واعتبرها أصل العلم.[٢٧] لقد كانت الرحلة في طلب العلم مهمة للعلماء وطلبة العلم، إذ تكمن أهميتها فيما يلي:

- لقاء المشايخ، والاحتكاك بهم، والأخذ عنهم.
- التعرف على البلدان، وشعوبها، وثقافتهم، وأهم عاداتهم وتقاليدهم، والقيام بالتبادل الثقافي بين المجتمعات.[٢٨]
- أخذ العلم عن طريق الرواية من الشيوخ مباشرةً بدلاً من أخذه عن طريق الكتب والمصنفات والمختصرات فقط حسب ما أورده الأبلي.[٢٩]
- الاحتكاك بطلاب الدول المختلفة، وخلق جو من التبادل الثقافي تمثل أساسًا في المناظرات، وتبادل الأفكار بين الطلبة والعلماء، مما يؤدي إلى توسع آفاق[٣٠] طلاب العلم والعلماء، والعمل على التعمق في مسائل العلوم بتخصصاتها المختلفة،[٣١] إضافةً إلى الاطلاع على الروايات المتعددة أحيانًا للحديث الواحد، وكذلك الامتحانات التي تعقد لاختبار كفاءة علم العلماء والطلبة.[٣٢]

كما تعد الرحلة في طلب العلم من أهم العوامل المساعدة في التعلم، ذلك لأنها تمكن الطالب من الحصول على العلم من خلال التقائه بالمشايخ على اختلاف طرقهم ومناهجهم التعليمية، إذ أن التلقين المباشر هو أشد استحكامًا للمعلومات،[٣٣] وعلى أساس ذلك أدرك الطلبة أهمية الرحلة فكانوا لا يكتفون بما يتلقونه من العلوم في مدنهم، بل يجوبون مختلف البلدان لتلقي العلم من أكابر العلماء متحملين في ذلك عناء السفر،[٣٤] وكان التنقل أساسًا بين عواصم البلدان الإسلامية خاصةً غرناطة، وفاس، وبجاية، وتونس، والقاهرة، ودمشق، وبغداد، ومكة.[٣٥]

ولهذا تعد الرحلة في طلب العم شرط أساسي في التعلم، ولابد منها، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون التحصيل العلمي أفضل وأرسخ، كما تفيد الرحلة في طلب العلم على تميز الاصطلاحات المختلفة وفهمها، كما عكست الرحلة في طلب العلم على الطلبة والعلماء أثارًا كبيرة، إذ كانت منبعًا غنيًا بالخير والنشاط الدائم، وسبيلاً إلى تحقيق التبادل الثقافي والتعاون الفكري بين المراكز الثقافية. كما يتبين فضل الرحلة في طلب العلم على العلم والتعليم ما ذكره ابن خلدون في قوله: «والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علمًا وتعليمًا وإلقاء، وتارة محاكاةً وتلقينًا مباشرًا، إلا أن حصول ملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا وأقوى رسوخًا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها».[٣٦]

٣/٣- الرحلة في طلب الإجازة:

كان الطلبة يرتحلون بين أرجاء المغرب والمشرق الإسلامي طلبًا لإجازة، و"الإجازة" عند المحدثين هي الإذن في الرواية لفظًا أو كتابة، وكانت لا تمنح إلا لمَنْ يدرس علم الحديث، ثم صارت تمنح في كل العلوم والفنون، وهي تعتبر شهادة كفاءة أو تأهيل بواسطتها يستحق الطالب المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ، وذلك في العلوم المجاز بها. ولا تعطى الإجازة إلا بعد القراءة على الشيخ المجيز وملازمته أيامًا وشهورًا، وفي بعض الأحيان عدة أعوام.[٣٧] وقد حرص الطلاب على الحصول على أكبر عدد من الإجازات من الشيوخ والعلماء، كما كانوا يحرصون أشد الحرص على معرفة أفاضل الصحابة والتابعين والفقهاء، إضافة إلى معرفة تاريخ ولادتهم ووفاتهم، ومعرفة مَنْ روى عنهم شيوخهم وأساتذتهم، وحرصوا على أن لا ينقطع سند التعليم.

فقد كان الرحالة من العلماء وطلبة العلم ينتهزون فرصة أدائهم فريضة الحج في التجول بين المراكز العلمية مثل الإسكندرية والقاهرة للقاء العلماء والأخذ عنهم، وتسجيل أسماء مشايخهم، وما أخذوه عنهم من كتب وإجازات. فالإجازة كانت تمثل ضرورة علمية في الأوساط العلمية، يحرص عليها العالم لضمان انتشار علمه سليمًا صحيحًا خاليًا من التحريف والأغلاط بقدر الإمكان.[٣٨] وذلك أن المتعلم يحرص عليها أشد الحرص لينال علمًا مضبوطًا لا شك في نسبته إلى صاحبه، وليثبت انتماءه إلى عالم موثوق فيه،[٣٩] وكانت الإجازات عملاً شخصيًا بحتًا من اختصاص الأستاذ وحده ولا

دورية إلكترونية، محكمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

صلة له بالمؤسسات التعليمية، ثم تطورت فكرة الإجازة في العالم الإسلامي عامة،[٤٠] وتحولت إلى شهادة علمية مهنية في النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي.[٤١] كما كانت الإجازة شهادة علمية، أو ترخيصًا بتحصيل الطالب مادة معينة، أو إذنًا له برواية علم من العلوم،[٤٢] وذلك لتقارب واستزادة العلم لامتداد المعرفة، وانتشار الأفكار بين مختلف الأقطار.

(٤) أهمية الرحلة العلمية

لقد كان للرحلة العلمية أهمية كبرى بالنسبة للرحالة، فهي تعد أهم الوسائل في تحقيق أغراضهم، فهي تعتبر عونًا للمؤرخ والجغرافي، وذلك لأن أغلب الرحالة سجلوا مشاهداتهم ومعايناتهم للأقاليم المختلفة التي وطؤها، فقد كان للرحلة تأكيد للوقائع والأحداث عن طريق المشاهدة والملاحظة، حيث أدت هذه الأخيرة إلى اتساع أفق صاحبها لكثرة زيارته للبلدان والاختلاط بالعلماء وأصحاب المعرفة، كما تعد كتب الرحلات من أهم مصادر التاريخ، وذلك لأنها تحتوي على معلومات قيمة فهي تعد أوثق المصادر وأشملها، وذلك من خلال مشاهداتهم في مسارهم ذهابًا وإيابًا حيث وصفوا البلاد ومعالمها والعباد وعاداتهم، كما نوّهوا إلى أسماء شيوخهم، مسجلين إجازاتهم كما ذكروا أهم المصنفات التي أطلعوا عليها وأهم المشاهد المقدسة.[٤٣]

كما كانت وسيلة للتزود بالعلم والالتقاء بالعلماء في مراكز الحضارة الإسلامية، كما كان من بينهم رجال شغفوا بالطواف والسفر، وكانت المغامرة واستكشاف المجهول دافعًا لرحلاتهم،[٤٤] حيث انفرد الرحالة بتسجيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتي أغفل ذكرها بعض المؤرخون واقتصروا على تسجيل الناحية السياسية. كما تنوعت حوادثها وحوت الكثير من المعلومات عن أحوال المسلمين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لبعض العلماء والملوك، وعادات الناس في البلدان التي زارها الرحالة، ومن هنا تكمن أهمية الرحلة من الناحية التاريخية.

كما أفرزت هذه الرحلات مذكرات وشاهدات لهؤلاء الرحالة فأصبحت بمثابة موسوعة علمية مصغرة، إضافة إلى كونها سجلاً ضم قوائم بأسماء علماء مسلمين بارزين ومتخصصين في مختلف العلوم. ولقد أسهمت هذه الرحلات أيضًا في معرفة أهم المناطق النائية وأحوالها، فقد شكلت معلوماتهم مادة علمية غزيرة استطاع المؤرخون الأوائل الاستفادة منها في كتاباتهم من تلك البلدان سواء في النواحي السياسية أو الحضارية.[٤٥] كما تشكل الرحلة مادة تاريخية غنية بالأحداث والوقائع والتجارب اليومية، والأزمات السياسية والفتن الداخلية، والمعارك الحربية، والتدابير الإصلاحية والاجتماعية والاقتصادية.[٤٦] إضافة إلى التسلح بالنظر الدقيق، والرؤية الموضوعية للأشياء حتى يستطيع استخلاص الدروس الحقيقية المتجردة والعبر الواقعية، والتفكر في خلق السموات والأرض، كما أنها تكشف عن همة الرحالة في ارتياد الأفاق، واستعداده للمغامرة من باب نيل المعرفة مقرونة بالمتعة.

لقد حفظت لنا كتب التراجم والتاريخ أسماء رحّالة لم نعثر على رحلاتهم أو إنتاجهم أو لم يدونوا رحلاتهم، إضافة إلى إمدادنا بمعلومات قيمة خاصةً وأنهم أودعوا فيها معظم مشاهداتهم والتي قد لا نجدها في كتب التاريخ من حيث الوصف الدقيق للمدن ونمط الحياة فيها. أما أهميتها العلمية فتكمن في إثراء المجال العلمي بفضل التبادل العلمي القائم على التقاء كبار العلماء للأخذ والرواية عنهم، والحصول على إجازاتهم العلمية في المراكز التي وصلوا إليها، فهم رُسُلٌ علم ومعرفة وحلقة اتصال.

ومن هنا نجد؛ أن أدب الرحلة العلمية يشكل ثروة معرفية كبيرة ومخزنًا للقصص والظواهر والأفكار، فضلاً عن كونه مادة التقطتها عيون تتجول وأنفس تنفعل بما ترى، ووعي يلم بالأشياء ويحلّلها ويراقب الظواهر ويتفكر فيها، وكذا أوصاف البلدان والعمارة والحضارة وعجائب الطبيعة، وكذا الأحوال الاجتماعية والروحية والسياسية والاقتصادية، كما لم تخل هذه الرحلات من إعطاء صور واضحة عن المناهج التعليمية والتربوية، هذا مما أكسب الرحلة العلمية قيمتها العلمية في التراث الإسلامي.

خاتِمَة

كان للرحلة العلمية دور كبير في تمتين العلاقات بين الدول والتواصل الفكري، فلقد مثلت الرحلة العلمية أهم عنصر في كمال التعليم، إذ شدّد ابن خلدون عليها بقوله: "رغب الرحالة في ارتياد المجهول وتقصي الحقائق وطلب العلم والمعرفة من مواطنها الأصلية، وأنها ضرورية في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال". كما ذهب العلامة ابن خلدون إلى شرح وتحليل بعض تقنيات أخذ العلم في الرحلة فيشير إلى الملكات وتحصيلها بالمباشرة والتلقين، فيقول أنها أشدّ استحكامًا وأقوى رسوخًا، وبالتالي فهي على علاقة وثيقة بكثرة الشيوخ، ومن جهة أخرى يشير كذلك إلى الاصطلاحات وطريقة وأهمية تحصيلها فيقول: "فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تميز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف الطرق فيها من المعلمين، ويصحح معارفه ويميزها عن سواها". ومن هنا نجد أنه كان للرحلة العلمية دور كبير في إثراء المجال العلمي من خلال تنقل العلماء والطلبة بين العواصم العلمية، وذلك للانتهال والتحصيل والتدريس، كما نتج عنها حوار فكري ومناظرات علمية هامة بين أجّلة العلماء المتخصصين في مختلف العلوم، هذا إضافة إلى تبادل المعارف والآراء في مختلف العلوم العقلية والنقلية.

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الهَوامِشُ:

(١) ابن منظور محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج١١، دار الصادر، بيروت ١٩٩٠، ص ٢٧٦.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة سبأ، الآية (١٩).

(٣) عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، **الرحلة في الإسلام: أنواعها وآدابها**، ط١، مكتبة الدار العربية للكتاب (د.م) ١٩٩٦، ص ١٦.

(٤) **سورة قريش**، الآية (١) و (٢).

(٥) عبد اللطيف الصعيدي عبد الحكم، المرجع السابق، ص ١٥.

(٦) ابن جبير أبو الحسن، **رحلة ابن جبير**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ١٩٨٧، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٧) ابن خلدون عبد الرحمن، **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١، ص٧٧٨. عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، القاهرة ١٩٨٣، ص ١٦.

(٨) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٣، ص٣٤٠ - ٣٤٢.

(٩) مثل حالة عبد الرحمن بن خلدون، ومحمد بن مرزوق الخطيب، ولسان الدين بن الخطيب، ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا**، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١، ص ١٠٥٦، ابن الخطيب، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تحقيق، كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٣، ص١٥٧- ١٦٢.

(١٠) المصدر نفسه، والصفحة نفسها، عزالدين موسى، المرجع السابق، ص ١٦.

(١١) ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج٧، ص ٤٧٠.

(١٢)القلصادي علي بن محمد، **رحلة القلصادي تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨، ص ١٢٤. ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص، ج١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٤ - ٣٨. المقريزي، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج٢، تحقيق: مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٥-١٩٧٢، ص ١٢. محمد ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، المصدر السابق، ص ١٠.

(١٣)الونشريسي أحمد، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ٤٩٠.

(١٤) ابن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص ١٠٨٧.

(١٥)هو الشيخ الصوفي أبو عبد الله بن عباد النفزي الحميري الرندي (٧٣٣-٧٩٢هـ/١٣٣٢-١٣٩٠م) من كبار علماء الأندلس له كتاب التنبيه الذي وضعه على حكم ابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ/١٣٠٩م) التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، طبع على هامش الديباج لابن فرحون، مصر ١٣٥١هـ، ص٢٧٩ - ٢٨١.

(١٦)يُقصد به القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

(١٧) **سورة الحج**، الآية (٢٧).

(١٨)كانت هناك عدة مزارات مقصودة من طرف المسلمين بالحجاز في المدينة ومكة منها قبور الرسول وقبور الصحابة وغار حراء وأماكن أخرى، أبو الحسن الهروي، **كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات**، تحقيق: جانين سورديل طومين، المعهد الفرنسي للدراسات العربية دمشق ١٩٥٣، ص٨٥-٩٦، محمد بن محمود بن نجار، **الدرة الثمينة في تاريخ المدينة**، مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة ١٩٥٦، ص٣٣٢ - ٣٩٧، القلصادي، المصدر السابق، ص ١٣٦.

(١٩)ابن عباد الرندي، المصدر السابق، ص٧٠، القلصادي، المصدر السابق، ص١٣٥.

(٢٠) المقري، **نفح الطيب**، ج٣، ص ٤- ٥.

(٢١) القلصادي، المصدر السابق، ص ١٣٤- ١٣٥.

(٢٢) أخرجه مسلم عن حديث أبو هريرة.

(٢٣) أخرجه عبد البر عن حديث أبي ذر.

(٢٤) أخرجه ابن عدي والبيهقي عن حديث أنس.

(٢٥) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ٥٤١.

(٢٦) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ١٠٤٤.

(٢٧)المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٢٦. ابن مريم عبد الله ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق، محمد بن أبي شنب، نشر عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٦، ص٢١٦- ٢١٧.

(٢٨)لخضر عبدلي، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، ٢٠٠٥، ص ١٠٠.

(٢٩) ابن مريم، المصدر السابق، ص ٢١٧.

(٣٠) القلصادي، المصدر السابق، ص ١٢٦- ١٢٧.

(٣١) نفسه، ص ١٢٦-١٢٧.

(٣٢) عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص ٣٦.

(٣٣) عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ٥٩٨.

(٣٤) لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ٩٩.

(٣٥)حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، اسطنبول، ١٩٤١، ص٤٢-٤٣.

(٣٦) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ٥٠٩.

(٣٧)سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ١٩٨١، ص٤١-٤٢.

(٣٨)محمدي عادل عبد العزيز، **التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦، ص ٣٦.

(٣٩) محمدي عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٤٠) المرجع نفسه، ص ٣٦.

(٤١) القلقشندي، **صبحى الأعشى**، المصدر السابق، ج١٤، ص ٣٢٢.

(٤٢) محمدي عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٣٦.

(٤٣)عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين: دراسة تحليلية مقارنة**، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـ، ص ٥٦.

(٤٤) المرجع نفسه، ص ٧١.

(٤٥) المرجع نفسه، ص ٣٦.

(٤٦)محمد ابن شقرون، **فيض العباب وإفاضة قداح الآذان في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، دار الغرب الإسلامي، الرباط، د. ت، ص٤٤.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449